وكان ﷺ « إذا حزبه أمر قام إلى الصلاة »[1] .

﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾

فأنت قيُّوم علينا ، مُطلع على أفعالنا ، أنؤدّيها على الوجه الأكمل ، أم نُقصِّر فيها ؟

ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾

سُؤْل : أى : الشيء المسئول مثل (خُبز) أى : مخبوز ، فالمراد : أعطيناك ما سألتَ ، بل وأعطيناك قبل أن تسأل ، بل وقبل أن تعرف كيف تسأل :

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾

(منّنا) من المنة ، وهى العطاء بلا مقابل على خلاف الجزاء ، وهو العطاء مقابل عمل ﴿ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ [طه] إذن : هناك مرة أولى ، لكن المراد بالمنّة هنا ما حدث من الوحى إلى أم موسى وهو صغير ، فهى فى الحقيقة المنّة الأولى إنما قال هنا ﴿ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ [طه] هذا ترتيب ذكرى حَسْب ذكْر الأحداث .

فمتى كانت هذه المنّة ؟

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾

إذ : يعنى وقت أنْ أوحينا إلى أمك ما يُوحَى . فكانت هذه هى المنة الأولى عليك حين وُلدت فى عام ، يقتل فيه فرعون الذكور ، فمنَّنا عليك لما قلنا لأمك : ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلَا تَخَافِى

(١) عن حذيفة رضى الله عنه قال : « كان النبى ﷺ إذا حزبه أمر صلى » أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٥/٣٨٨) وأبو داود فى سننه (١٣١٩) .

وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص]

ومعنى ﴿مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ [طه] أى : أمراً عظيماً لك أن تقدره أنت فتذهب فيها نفسك كل مذهب ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ [طه] ويُفصِّل الحق سبحانه هذا الوحى لأم موسى ، فيقول تعالى :

﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ(١) فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ(٢) عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ ﴾

هذا ما أوحينا به إلى أم موسى .

واليمُّ : البحر الكبير ، سواء أكان مالحاً أم عَذْباً ، فلما تكلّم الحق سبحانه عن فرعون قال : ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ .. ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الأعراف] والمراد : البحر الأحمر ، أما موسى فقد وُلِد فى مصر وأُلْقِى تابوته فى النيل ، وكان على النيل قصر فرعون .

وبالله .. أى أم هذه التى تُصدِّق هذا الكلام : إنْ خِفْتِ على ولدك فألقيه فى اليم ؟ وكيف يمكن لها أن تنقذه من هلاك مظنون وترمى به فى هلاك مُتيقَّن ؟

---

(١) التابوت : الصندوق الذى يُحرز فيه المتاع . [لسان العرب ـ مادة : تبت] قال القرطبى فى تفسيره (٤٣٦٨/٦) : « قال مقاتل : مؤمن آل فرعون هو الذى صنع التابوت ونجره ، وكان اسمه حزقيل ، وكان التابوت من جُمَّيز » .

(٢) الصنع : معناه الإحداث والإنشاء ويكون بقصد وإرادة وتدبير ، وقوله تعالى فى قصة موسى : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه] . أى : تُربَّى محروساً بعنايتى ، وقوله تعالى ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ﴾ [طه] . أى : علمتك وربيتك وأنعمت عليك لتكون صنيعة لى تخدمنى وتؤدى الرسالة التى أكلفك إياها واخترتك لها . [القاموس القويم ٣٨٤/١] .

ومع ذلك لم تتردد أم موسى لحظة فى تنفيذ أمر الله ، ولم تتراجع ، وهذا هو الفرق بين وارد الرحمن ووارد الشيطان ، وارد الرحمن لا تجد النفس له رداً ، بل تتلقاه على أنه قضية مُسلَّمة ، فوارد الشيطان لا يجرؤ أن يزاحم وارد الرحمن ، فأخذتْ الأم الوليد وألْقَتْه كما أوحى إليها ربها .

وتلحظ فى هذه الآيات أن آية القصص لم تذكر شيئاً عن مسألة التابوت : ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ .. ﴿٧﴾﴾ [القصص] هكذا مباشرة .

قالوا : لأن الحق سبحانه تكلم عن الغاية التى تخيف ، وهى الرَّمْى فى اليم ، وطبيعى فى حنان الأم أنْ تحتال لولدها وتعمل على نجاته ، فتصنع له مثل هذا التابوت ، وتُعِدّه إعداداً مناسباً للطَّفْو على صفحة الماء .

فالكلام هنا لإعداد الأم وتهيئتها لحين الحادثة ، وفَرْق بين الخطاب للإعداد قبل الحادثة والخطاب حين الحادثة ، فسوف يكون للأمومة ترتيب ووسائل تساعد على النجاة ، فصنعتْ له صندوقاً جعلت فيه مَهْداً ليّناً واحتاطتْ للأمر ، ثم يطمئنها الحق سبحانه على ولدها : ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي .. ﴿٧﴾﴾ [القصص] فسوف نُنجيه ؛ لأن له مهمة عندى ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص]

فإذا ما جاء وقت التنفيذ جاء الأمر فى عبارات سريعة متلاحقة : ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ .. ﴿٣٩﴾﴾ [طه]

لذلك ، تجد السياق فى الآية الأولى هادئاً رتيباً يناسب مرحلة الإعداد ، أما فى التنفيذ فقد جاء السياق سريعاً متلاحقاً يناسب سرعة التنفيذ ، فكأن الحق سبحانه أوحى إليها : أسرعى إلى الأمر

الذى سبق أنْ أوحيتُه إليك ، هذا الكلام فى الحبْكة الأخيرة لهذه المسألة .

وقوله تعالى : ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ .. (٣٩) ﴾ [طه] أى : تحمله الأمواج وتسير به ، وكأن لديها أوامر أن تُدخله فى المجرى الموصِّل لقصر فرعون .

فعندنا - إذن - لموسى ثلاثة إلقاءات : إلقاء الرحمة والحنان فى التابوت ، وإلقاء التابوت فى اليم تنفيذاً لأمر الله ، وإلقاء اليَمِّ للتابوت عند قصر فرعون .

وقوله تعالى : ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ .. (٣٩) ﴾ [طه] (عَدُو لى) أى : لله تعالى ؛ لأن فرعون ادعى الألوهية ، (وَعَدُوٌّ لَّهُ) أى : لَموسى ؛ لأنه سيقف فى وجهه ويُوقفه عند حَدِّه .

وفى الآية إشارة إلى إنفاذ إرادته سبحانه ، فإذا أراد شيئاً قضاه ، ولو حتى على يد أعدائه وهم غافلون ، فمَنْ يتصور أو يصدق أن فرعون فى جبروته وعُتوه وتقتيله للذكور من أولاد بنى إسرائيل هو الذى يضم إليه موسى ويرعاه فى بيته ، بل ويُحبه ويجد له قبولاً فى نفسه .

وهل التقطه فرعون بداية ليكون له عَدواً ؟ أم التقطه ليكون ابناً ؟ كما قالت زوجته آسية : ﴿ قُرَّتُ(١) عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٩) ﴾ [القصص]

إذن : كانت محبة ، إلا أنها آلتْ إلى العداوة فيما بعد ، آلتْ إلى

(١) أى : مبعث سرور لى ولك . [القاموس القويم ٢/ ١١٢] . وقيل : أقر الله عينك أى : بلَّغك أمنيتك حتى ترضى نفسك وتسكن عينك فلا تستشرف إلى غيره . [لسان العرب - مادة : قرر] .

أن يكون موسى هو العدو الذى ستُربيه بنفسك وتحافظ عليه ليكون تقويضُ ملكك على يديه ؛ لذلك سيقول فرعون : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨)﴾ [الشعراء]

ومسألة العداوة هذه استغلها المشككون فى القرآن واتهموه بالتكرار فى قوله تعالى : ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ .. (٣٩)﴾ [طه] ثم قال فى آية أخرى : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا .. (٨)﴾ [القصص]

والمتأمل فى الآيتين يجد أن العداوة فى الآية الأولى من جانب فرعون لموسى وربه تبارك وتعالى ، أما العداوة فى الآية الثانية فمن جانب موسى لفرعون ، وهكذا تكون العداوة متبادلة ، وهذا يضمن شراستها واستمرارها ، وهذا مُراد فى هذه القصة .

أمَّا إنْ كانت العداوة من جانب واحد ، فلربما تسامح غير العدو وخَجِل العدو فتكون المصالحة . والعداوة بين موسى وفرعون ينبغى أن تكونَ شرسة ؛ لأنها عداوة فى قضية القمَّة ، وهى التوحيد .

ولكن ، لماذا لم يُلفت مجىء موسى على هذه الحالة انتباه فرعون فيسأل عن حكايته ويبحث فى أمره ؟ إنها إرادة الله التى لا يُعجزها شىء ، فتحبه زوجة فرعون ، وتقول : ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ .. (٩)﴾ [القصص] ؛ لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى بعدها : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي.. (٣٩)﴾ [طه]

فأحبته آسية امرأة فرعون لما رأته ، وأحبَّه فرعون لما رآه ، وهذه محبة من الله بلا سبب للمحبة ؛ لأن المحبة لها أسباب بين الناس ، فتحب شخصاً لأنك تودّه ، أو لأنه قريب لك أو صديق ، أو

أسْدى لك معروفاً ، وقد يكون الحب من الله دون سبب من هذه الأسباب ، فلا سببَ له إلا إرادة الله .

فمعنى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي.. (٣٩) ﴾ [طه] وليس فيك ما يُوجب المحبة ، وليس لديك أسبابها ، خاصة وقد كان موسى عليه السلام أسمر اللون ، أجعد الشعر ، أقنى الأنف ، أكتف[1] ، وكأن هذه الخلْقة جاءت تمهيداً لهذه المحبة ، وإثباتاً لإرادة الله التى طوَّعَتْ فرعون لمحبة موسى ، كما قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ[2] بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .. (٢٤) ﴾ [الأنفال]

وهكذا ، حوَّل الله قلب فرعون ، وأدخل فيه محبة موسى ليُمرِّر هذه المسألة على هذا المغفل الكبير ، فجعله يأخذ عدوه ويُربِّيه فى بيته ، ولم يكن فى موسى الوسامة والجمال الذى يجذب إليه القلوب .

ثم يقول سبحانه : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) ﴾ [طه] أى : تُربَّى على عَيْن الله وفى رعايته ، وإنْ كان الواقع أنه يُربَّى فى بيت فرعون ، فالحق ـ تبارك وتعالى ـ يرعاه ، فإنْ تعرَّض لشىء فى التربية تدخَّل ربُّه عز وجل ليعلمه ويُربِّيه .

ومن هذه المواقف أن فرعون كان يجلس وزوجته آسية ، ومعهما موسى صغير يلعب ، فإذا به يمسك بلحية فرعون ويجذبها بشدة أغاظته ، فأمر بقتله ، فتدخَّلت امرأته قائلة : إنه ما يزال صغيراً لا يفقه شيئاً ، إنه لا يعرف التمرة من الجمرة .

---

(١) الكتَف : عيب يكون فى الكتف ، وهو انفراج فى أعالى كتف الإنسان والأكتف هو الذى انضمت كتفاه على وسط كاهله خلقة قبيحة . [لسان العرب ـ مادة : كتف] .

(٢) قال ابن عباس : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان . رواه الحاكم فى مستدركه موقوفاً ، وقال : صحيح ولم يخرجاه . قال ابن كثير فى تفسيره (٢/٢٩٨) : « وكذا قال مجاهد وسعيد وعكرمة والضحاك وأبو صالح وعطية وغيرهم » .

فأتوا له بتمرة وجمرة ليمتحنوه ، فأزاح الله يده عن التمرة إلى الجمرة ليُفوّت المسألة على هذا المغفل الكبير ، بل وأكثر من هذا ، فأخذها موسى رغم حرارتها حتى وضعها فى فمه ، فلدغتْ لسانه ، وسبَّبتَ له هذه العُقْدة فى لسانه التى اشتكى منها فيما بعد .

وكأن الحق ـ تبارك وتعالى ـ يُطمئن نبيه موسى ـ عليه السلام ـ : لا تخف ، فأنت تحت عينى وفى رعايتى ، وإنْ فعلوا بك شيئاً سأتدخل ، وفى آية أخرى قال : ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ﴾ [طه] فأنا أرعاك وأحافظ عليك ؛ لأن لك مهمة عندى .

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

إذن : كان لأخت موسى دور فى قصته ، كما قال تعالى فى موضع آخر : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ[1] فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [القصص]

والمراد : تتبعيه بعد أنْ علمت نجاته من اليمّ ، فتتبعته ، وعرفتْ أنه فى بيت فرعون ، ثم حرَّم الله عليه المراضع ، فكان يعافُ المرضعات ، وهنا تدخلت أخته لتقول : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن

(١) القصُّ : اتباع الأثر . قال ابن كثير فى تفسيره (٣/٣٨١) : « أى : اتبعى أثره وخذى خبره وتطلبى شأنه من نواحى البلد » .

يكفله..(٤٠)﴾ [طه] وهذا الترتيب لا يقدر عليه إلا الله .

ويقول تعالى : ﴿فرجعناك إلىٰ أمك.. (٤٠)﴾ [طه] حين نستقرىء مادة (رجع) في القرآن نجدها تأتي مرة لازمة كما في : ﴿ولما رجع موسىٰ إلىٰ قومه .. (١٥٠)﴾ [الأعراف]

وتأتي متعدية كما في : ﴿فرجعناك إلىٰ أمك.. (٤٠)﴾ [طه] وفي : ﴿فإن رجعك الله إلىٰ طائفة منهم .. (٨٣)﴾ [التوبة]

والفَرْق بين اللازم والمتعدِّي أن اللازم رجع بذاته ، أمّا المتعدى فقد أرجعه غيره ، فالرجوع أن تصير إلى حال كنتَ عليها وتركتها ، فإنْ رجعت بنفسك دون دوافع حملتْك على الرجوع فالفعل لازم ، فإنْ كانت هناك أمور دفعتْك للرجوع فالفعل مُتعدٍّ .

ومثل رجعك : أرجعك ، إلا أن رجعك : الرجوع - في ظاهر الأمر منك من دون دوافع منك . وأرجعك : أي رَغْماً عن إرادتك .

وقوله : ﴿كي تقرَّ عينُها.. (٤٠)﴾ [طه] تقرُّ العين أي : تثبت ؛ لأن التطلعات إما أن تكون معنوية أو حسِّية ، فالإنسان لديه أمانٍ يتطلع إلى تحقيقها ، فإذا ما تحققت نقول : لم يعُدْ يتطلع إلى شيء .

وكذلك في الشيء الحسِّيّ ، فالعرب يقولون للشيء الجميل : قيد النواظر . أي : يقيد العين فلا تتحول عنه ؛ لأن الإنسان لا يتحول عن الجميل إلا إذا رأى ما هو أجمل ، وهذا ما يسمونه قُرَّة العين . يعني الشيء الحسن الذي تستقر عنده العين ، ولا تطلب عليه مزيداً في الحُسْن .

ثم يقول تعالى : ﴿وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً.. (٤٠)﴾ [طه] وهذه منَّة أخرى من منَن الله تعالى على موسى عليه السلام ، فمنَنُ الله عليه كثيرة كما قال : ﴿ولقد مننّا عليك مرة أخرىٰ (٣٧)﴾ [طه] فهي مرة ، لكن هناك مرات .

ومسألة القتل هذه وردتْ في قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ[1] غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ .. (١٥) ﴾ [القصص]

وخرج من المدينة[2] خائفاً يترقب الناس لئلا يلحقوا به فيقتلوه ، وهذا معنى ﴿ فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ .. (٤٠) ﴾ [طه] أى : من القتل ، أو من الإمساك بك ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا .. (٤٠) ﴾ [طه] أى : عرَّضناك لمحن كثيرة ، ثم نجيناك منها ، أولها : أنك وُلدْت فى عام يُقتل فيه الأطفال ، ثم رمتْكَ أمك فى اليم ، ثم ما حدث منه مع فرعون لما جذبه من ذقنه .

ثم يقول تعالى : ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ[3] فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (٤٠) ﴾ [طه] ذكر الله تعالى مدة مُكْثه فى أهل مدين على أنها من مننه على موسى مع أنه كان فيها أجيراً ، وقال عن نفسه : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) ﴾ [القصص]

---

(١) أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى أن فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى عليه السلام قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب فى أثره . فأدركه المقيل (وقت الظهيرة) بأرض يقال لها منف ، فدخلها نصف النهار ، وقد تغلقت أسواقها ، وليس فى طرقها أحد ، وهى التى يقول الله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا .. (١٥) ﴾ [القصص] . [أورده السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٩٧] .

(٢) هى مدينة منف ، وهى تقع الآن على مسافة ٢٨ كم جنوب القاهرة قرب ميت رهينة بالبدرشين بالجيزة وبها أهرامات سقارة . وكانت منف المدينة الأولى فى مصر حتى بنيت مدينة الإسكندرية . وكانت منف حصناً قوياً ، وكانت تصنع بها أسلحة القتال وتُبنى فيها سفن الأسطول . [معجم الحضارة المصرية القديمة - تأليف جورج بوزنر وآخرون - ترجمة أمين سلامة - الهيئة المصرية العامة للكتاب] .

(٣) قال قتادة : مكث عشر سنين . أورده السيوطى فى الدر المنثور (٥/٥٧٩) وعزاه لعبد ابن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم . وقال وهب : لبث عند شعيب ثمانى وعشرين سنة ، منها عشر مهر امرأته صفورا ابنة شعيب وثمانى عشرة أقامها عنده حتى وُلد له عنده .

وفى مدين تعرّف على شعيب عليه السلام ، وتزوج من ابنته وأنجب منها ولداً ، وموسى فى هذا كله غريب عن وطنه ، بعيد عن أمه ، فلما أراد الله له الرسالة شوّقه إلى وطنه ورؤية أمه ، وقدّر له العودة ؛ فقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ[1] يَا مُوسَىٰ (٤٠) ﴾ [طه]

أى : على قَدَر من اصطفائك ، فقَدَر الله هو الذى حرّك فى قلبك الشوق للعودة ، وحملك على أنْ تمشى فى الطريق غير المأهول ، وتتحمل مشقة البرد وعناء السفر ، قَدَر الله هو الذى حرّك فيك خاطر الشوق لأمك ، ففى طريق العودة وفى طُوىً أنت على موعد مع الاصطفاء والرسالة .

لذلك ، فإن الشاعر الذى مدح الخليفة قال له :

جاء الخلافَةَ أوْ كانتْ لَهُ قَدَراً   كَما أتَى ربَّه مُوسَى عَلَى قَدَرِ

ثم يقول الحق سبحانه لموسى :

﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) ﴾

أى : نجَّيْتك وحافظت عليك ؛ لأننى أُعدُّك لمهمة عندى ، هى إرسالك رسولاً بمنهجى إلى فرعون وإلى قومك .

وقد حاول العلماء إحصاء المطالب التى طلبها موسى عليه السلام من ربه فوجدوها ثمانية : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) ﴾ [طه]

(١) قال مجاهد : أى على موعد . وقال قتادة : على قدر الرسالة والنبوة أوردهما ابن كثير فى تفسيره (٣/١٥٣) .

ثم وجدوا أن الله تعالى أعطاه ثمانية أخرى دون سؤال منه : ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (٤٠)﴾ [طه]

فإنْ كان موسى عليه السلام قد طلب من ربه ثمانية مطالب فقد أعطاه ربه عز وجل ثمانية أخرى دون أن يسألها موسى ؛ ليجمع له بين العطاء بالسؤال ، والعطاء تكرُّماً من غير سؤال ؛ لأنك إنْ سألت الله فأعطاك دَلَّ ذلك على قدرته تعالى فى إجابة طلبك ، لكن إنْ أعطاك بدون سؤال منك دَلَّ ذلك على محبته لك .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢)﴾ (١)

﴿بِآيَاتِي.. (٤٢)﴾ [طه] الآيات هنا هى المعجزات الباهرات التى تبهر فرعون ، فلن تذهبا مُجرَّدَيْن ، بل معكما دليل على صدْق الرسالة التى تحملونها إليه : ﴿لَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢)﴾ [طه] من التَّوانى أى : الفتور أو التقصير ؛ لأننى أعددتكما الإعداد المناسب لهذه المهمة الشاقة ، فإياكم والتهاون فيها ، فإنْ حدث منكما تقصير فهو تقصير فى الأداء ، لا فى الإعداد .

ومعنى : ﴿فِي ذِكْرِي (٤٢)﴾ [طه] أى : لأكُنْ دائماً على بالكما ،

(١) فى قراءة ابن مسعود « ولا تهنا فى ذكرى » وتحميدى وتمجيدى وتبليغ رسالتى . [القرطبى فى تفسيره ٦/٤٣٧١] .

فأنا الذى أرسلتُ ، وأنا الذى أيدتُ بالمعجزات ، وأنا الذى أرعاكما وأرقبكما ، وأنا الذى سأجازيكما فلا يَغبْ ذلك عنكما .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾

وهل هناك طغيان فوق ادعاء أنه ربٌّ ؟ وقد قال تعالى فى موضع آخر : ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يونس] والمسرف : هو الذى يتجاوز الحدود ، وهو قد تجاوز فى إسرافه وادَّعى الألوهية ، فعَلاَ فى الأرض علوَّ طاغية من البشر على غيره من البشر المستضعفين .

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾

هذا لفرعون بعد أنْ طغى ، ومن الذى حكم عليه بالطغيان ؟ حين تحكم أنت عليه بالطغيان فهو طغيان يناسب قدرات وإمكانات البشر ، أمّا أن يقول عنه الحق تبارك وتعالى ﴿ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ [طه] فلا بُدَّ أنه تجاوز كل الحدود ، وبلغ قمة الطغيان ، فربُّنا هو الذى يقول .

فقوله : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا .. ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه] فلا بُدَّ أنْ تعطيه فُسْحة كى يرى حُجَجك وآياتك ، ولا تبادره بعنف وغِلْظة ، وقالوا : النصح ثقيل ، فلا ترسله جبلاً ، ولا تجعله جدلاً ، ولا تجمع على المنصوح شدتين : أنْ تُخرجه مما ألف بما يكره ، بل تُخرجه مما ألِف بما يحب .

وهذا منهج فى الدعوة واضح وثابت ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .. ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل]

لأنك تخلعه مما اعتاد وألف ، وتُخرجه عَمَّا أحب من حرية واستهتار فى الشهوات والملذات ، ثم تُقيِّده بالمنهج ، فليكُنْ ذلك برفق ولُطْف .

وهذه سياسة يستخدمها البشر الآن فى مجال الدواء ، فبعد أن كان الدواء مُرّاً يعافُه المرضى ، توصلوا الآن إلى برشمة الدواء المر وتغليفه بطبقة حلوة المذاق حتى تتم عملية البَلْع ، ويتجاوز الدواء منطقة المذاق .

وكذلك الحال فى مرارة الحق والنصيحة ، عليك أنْ تُغلِّفها بالقول اللين اللطيف .

وقوله : ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)﴾ [طه] لعل : رجاء ، فكيف يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)﴾ [طه] وفى علْمه تعالى أنه لن يتذكَّر ولن يخشى ، وسيموت كافراً غريقاً ؟

قالوا : لأن الحق سبحانه يريد لموسى أن يدخل على فرعون دخول الواثق من أنه سيهتدى ، لا دخولَ اليائس من هدايته ، لتكون لديه الطاقة الكافية لمناقشته وعَرْض الحجج عليه ، أمّا لو دخل وهو يعلم هذه النتيجة لكان محبطاً لا يرى من كلامه فائدة ، كما يقولون (ضربوا الأعور على عينه قال خسرانة خسرانة) .

فالحق سبحانه يعلم ما سيكون من أمر فرعون ، لكنْ يريد أنْ يقيمَ الحجة عليه ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.. (١٦٥)﴾ [النساء]

وقوله : ﴿يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)﴾ [طه] كأن الإنسان إذا ما ترك شراسة تفكيره ، وغُمة شهواته فى نفسه ، لا بُدَّ أنْ يهتدى بفطرته

إلى وجود الله أو (يتذكر) عالم الذَّر ، والعهد الذى أخذه الله عليه يوم أنْ قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا .. (١٧٢) ﴾ [الأعراف]

والذى قال عنه النبى ﷺ : « كُلُّ مولود يولد على الفطرة ، فأبوه يُهوِّدانه ، أو يُنصِّرانه ، أو يُمجِّسانه[1] »[2] .

فلو تذكَّر الإنسان ، وجرَّد نفسه من هواها لا بُدَّ له أنْ يهتدى إلى وجود الله ، لكن الحق - سبحانه وتعالى - جعل للغفلة مجالاً ، وأرسل الرسل للتذكير ؛ لذلك قال : ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ .. (١٦٥) ﴾ [النساء] ولم يقل : بادئين .

أمَّا مسألة الإيمان بالله فكان ينبغى أن تكون واضحة معروفة للناس أن هناك إيماناً بإله خالق قادر فقط ينتظرون ما يطلبه منهم وما يتعبَّدهم به . ماذا تفعل ؟ وماذا تترك ؟ وهذه هى مهمة الرسل .

وسبق أن ضربنا مثلاً برجل انقطعت به السُّبل فى صحراء دَوِيَّة[3] ، لا يجد ماءً ولا طعاماً ، حتى أشرف على الهلاك ، ثم غلبه النوم فنام ، فلما استيقظ إذا بمائدة عليها ألوان الطعام والشراب . بالله قبل أنْ يمد يده للطعام ، ألاَ يسأل : مَنْ أتى إليه به ؟

وهكذا الإنسان ، طرأ على كون مُعَدٍّ لاستقباله : أرض ، وسماء ، وشمس ، وقمر ، وزرع ، ومياه ، وهواء . أليس جديراً به أن يسأل :

---

(١) المجوسية نحلة تقول بالأصلين النور والظلمة ، يزعمون أن الخير من فعل النور ، وأن الشر من فعل الظلمة . ويقال : تمجس الرجل وتمجَّسوا : صاروا مجوساً . ومجَّسوا أولادهم : صيروهم كذلك . [لسان العرب - مادة : مجس] .

(٢) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى فى صحيحه (٤٧٧٥) ، ومسلم فى صحيحه (٢٦٥٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) الصحراء الدويَّة : إذا كانت بعيدة الأطراف مستوية واسعة . [لسان العرب - مادة : دوى] .

منِ الذى خلق هذا الكون البديع ؟ فلو تذكرتَ ما طرأتَ عليه من الخير فى الدنيا لانتهيتَ إلى الإيمان .

فمعنى : ﴿يَتَذَكَّرُ .. (٤٤)﴾ [طه] أى : النعم السابقة فيؤمن بالمنعم ﴿أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)﴾ [طه] يخاف العقوبة اللاحقة ، فيؤمن بالله الذى تصير إليه الأمور فى الآخرة .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى عنهما :

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥)﴾

الخوف : شعور فى النفس يُحرِّك فيك المهابة من شيء ، وممّ يخافان ؟ ﴿أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا .. (٤٥)﴾ [طه] يفرط : أى : يتجاوز الحد .. ومضادها : فرَّط يعنى : قصَّر فى الأمر ؛ لذلك يقولون : الوسط فضيلة بين إفراط وتفريط .

ومَنْ أفرط يقولون : فَرَس فارط عندما يسبق فى المضمار . ويقولون : حاز قَصَبَ السبق ، وكانوا يضعون فى نهاية المضمار قصبة يركزونها فى الأرض ، والفارس الذى يلتقطها أولاً هو الفائز ، والفرس فارط يعنى : سبق الحدَّ المعمول له ، لا مجرد أن يسبق غيره .

لذلك عندما يُحدِّثنا القرآن عن الحدود ، يقول مرة : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا .. (٢٢٩)﴾ [البقرة] أى : إياك أن تسبق الحد الذى وُضع لك ومرة أخرى يقول : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا .. (١٨٧)﴾ [البقرة]

ففى المحلَّلات قال ﴿فَلا تَعْتَدُوهَا .. (٢٢٩)﴾ [البقرة] قفوا على الحدِّ لا تسبقوه ، وفى المحرمات قال ﴿فَلا تَقْرَبُوهَا .. (١٨٧)﴾ [البقرة] لأنك لو اقتربتَ منها وقعتَ فيها .

فالمعنى إذن ﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَا .. (٤٥)﴾ [طه] يتجاوز الحدَّ ، وربما عاجلنا بالقتل قبل أن نقول شيئاً فيسبق قتلُه لنا كلامنا له .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥)﴾ [طه] فلا يكتفى بقتلنا ، بل ويخوض فى حَقِّ ربنا ، أو يقول كلاماً لا يليق ، كما سبق له أن ادَّعى الألوهية .

ومن واجب الدعاة ألاَّ يَصلوا مع المدعوين إلى درجة أن يخوضوا فى حقِّ الله تبارك وتعالى ؛ لذلك فالحق سبحانه يُؤدِّب المؤمنين به بأدب الدعوة فى مجابهة هؤلاء فيقول : ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا(1) بِغَيْرِ عِلْمٍ .. (١٠٨)﴾ [الأنعام]

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦)﴾

أى : لن أسلمكما ولن أترككما ، وأنا معكما أسمع وأرى ؛ لأن الحركة إما قول يُسمع ، أو فعل يُرى ، فاطمئنَّا ؛ لأننا سنحفظكما ، وقد قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ

(1) عدا عليه يعدو عَدْواً وعدواناً : ظلمه وصال عليه مثل اعتدى عليه . [القاموس القويم ١١/٢] . قال ابن عباس فى هذه الآية : « قالوا (أى : المشركين) : يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم » [ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٦٤/٢] .

﴿ ... الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) ﴾ [الصافات]

وهذه سُنة من سُنَن الله تعالى ، فإنْ رأيتَ جنداً من الجنود منسوبين لله تعالى وهُزِمُوا ، فاعلم أنهم انحلوا عن الجندية لله ، وإلا فوعْد الله لجنوده لا يمكن أن يتخلف أبداً .

والدليل على ذلك ما حدث للمسلمين في أُحُد ، صحيح أن المسلمين هُزِموا في هذه الغزوة ؛ لأنهم انحرفوا عن أوامر رسول الله ﷺ وخالفوه عندما قال للرماة : « لا تتركوا أماكنكم على أيّ حال من الأحوال »[1] ، لكن بمجرد أنْ رأوا بوادر النصر تركوا أماكنهم ، ونزلوا لجَمْع الغنائم ، فالتف من خلفهم خالد بن الوليد وألحق بهم الهزيمة ، وإن انهزم المسلمون فقد انتصر الإسلام ؛ لأنهم لما خالفوا أوامر رسولهم انهزموا ، وبالله لو انتصروا مع المخالفة أكان يستقيم لرسول الله أمر بعد ذلك ؟

ففي الآية التي معنا يطمئنهم الحق - تبارك وتعالى - حتى لا يخافا ، فقدرة الله ستحفظهما ، وسوف تتدخل إنْ لزمَ الأمر كما تدخلتْ في مسألة التمرة والجمرة ، وهو صغير في بيت فرعون .

ثم يقول لهما الحق سبحانه وتعالى :

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٢٠٩) ضمن حديث طويل عن غزوة أحد من حديث موسى بن عقبة ، وفيه « أمر رسول الله ﷺ خمسين رجلاً من الرماة فجعلهم نحو خيل العدو ، وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوَّات بن جبير ، وقال لهم : أيها الرماة إذا أخذنا منازلنا من القتال فإن رأيتم خيل المشركين تحركت وانهزم أعداء الله فلا تتركوا منازلكم ، إني أتقدم إليكم أن لا يفارقن رجل منكم مكانه واكفوني الخيل ، فوعز إليه فأبلغ ، ومن نحوهم كان الذي نزل بالنبي ﷺ يومئذ والذي أصابه » .

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٧) ﴾

ونلحظ هنا أنهما لم يواجهاه بما ادعاه من الألوهية مرة واحدة ، إنما أشارا إلى مقام الربوبية ﴿ رَسُولَا رَبِّكَ .. (٤٧) ﴾ [طه] وهذه هزّة قوية تزلزل فرعون ، ثم تحوّلا إلى مسألة أخرى ، وهى قضية بنى إسرائيل ، وكان فرعون يُسخِّرهم فى خدمته ويُعذِّبهم ويشقّ عليهم .

﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ .. (٤٧) ﴾ [طه] فقد جئنا لنأخذ أولادنا وننقذهم من هذا العذاب ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ .. (٤٧) ﴾ [طه] أى : معجزة ﴿ مِّن رَّبِّكَ .. (٤٧) ﴾ [طه] فأعادوا عليه هذه الكلمة مرة أخرى .

وقد علّمهما الحق سبحانه كيف يدخلون على فرعون ؟ وكيف يتحدثون معه فى أمر لا يمسّ كبرياءه وألوهيته .

وبنو إسرائيل هم البقية الباقية من يوسف عليه السلام وإخوته ، لما جاءوا إلى مصر فى أيام العزيز[1] الذى قرَّب يوسف وجعله على خزائن الأرض ، كما قال تعالى فى قصة يوسف : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ[2] أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾ [يوسف]

---

(١) العزيز : عزيز مصر فى زمن يوسف ، وهو وزيرها ، قال محمد بن إسحاق : اسمه أطفير ابن روحيب ، وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق (أى : الهكسوس) . [ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢/٤٧٣] .

(٢) أى : عظيم عندنا ثابت المنزلة . [القاموس القويم ٢/٢٣٢] .

وقوله : ﴿ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾ [طه] وهذه ليست تحية ؛ لأنك تُحيي مَنْ كان مُتبعاً للهدى ، وتدعو له بالسلام ، فإنْ لم يكُنْ كذلك فهي نهاية للكلام .

لذلك كان يكتبها رسول الله ﷺ في كتبه إلى المقوقس عظيم القبط ، وإلى هرقل عظيم الروم ، يقول : « اسلم تسلم ، يؤتكَ الله أجرك مرتين ، فإنْ توليت فإنما عليك إثم الأريسيين[1] والسلام على مَنِ اتبع الهدى »[2] .

قال موسى وهارون لفرعون :

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾

فأعطاه هنا القضية النهائية : جاءنا في الوحي أن مَنْ كذَّب وتولَّى فله العذاب ، ومعنى ﴿ أُوحِيَ إِلَيْنَا .. ﴿٤٨﴾ ﴾ [طه] أي : من ربك .

فلما سمع فرعون هذه المقولة أحب أنْ يدخل معهما في متاهات يشغلهم بها ، ويطيل الجدل ليُرتِّب أفكاره ، وينظر ما يقول :

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾

---

(١) اختلفوا في المراد بالأريسيين على أقوال ، أصحها وأشهرها أنهم الأكارون أي الفلاحون والزراعون ، ومعناه : إن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك ، وهذا هو القول الصحيح . شرح النووي لصحيح مسلم .

(٢) حديث متفق عليه . أخرجه البخاري في صحيحه (حديث ٧) كتاب بدء الوحي ، وكذا مسلم في صحيحه (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير في حديث طويل من حديث ابن عباس في ذكر كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل عظيم الروم .

ووجَّه الخطاب إلى الرئيس الأصلي في هذه المهمة ، وهو موسى عليه السلام[1] .

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾

معنى ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ .. ۝٥٠ ﴾ [طه] أى : كل ما فى الوجود ، خلقه الله لمهمة ، فجاء خَلْقه مناسباً للمهمة التى خُلق لها ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾ [طه] أى : دلّ كل شيء على القيام بمهمته ويسَّره لها .

والحق سبحانه أعطى كل شيء (خَلْقَهُ) الخَلْق يُطلَق ، ويُراد به المخلوق ، فالمخلوق شيء لا بُدَّ له من مادة ، لا بُدَّ أن يكون له صورة وشكل ، له لون ورائحة ، له عناصر ليؤدى مهمته .

فإذا أراد الله سبحانه خَلْق شيء يقْدر له كل هذه الأشياء فأمدَّ العين كى تبصر ، والأنف كى يشم ، واللسان كى يتذوق ، ثم هدى كل شيء إلى الأمر المراد به لتمام مهمته ، بدون أى تدخّل فيه من أحد .

وإذا كان الإنسان ، وهو المقدور للقادر الأعلى يستطيع أن يصنع مثلاً القنبلة الزمنية ، ويضبطها على وقت ، فتؤدى مهمتها بعد ذلك تلقائياً دون اتصال الصانع بها .

فالحقّ سبحانه خلق كل شيء وأقدره على أنْ يُؤدِّى مهمته على الوجه الأكمل تادية تلقائية غريزية ، فالحيوانات التى نتهمها بالغباء ،

---

(١) وقد يكون فرعون قد طلب الكلام من موسى لأنه يعلم أن موسى ليس فصيح اللسان ولا يكاد يُفهم منه كلام بسبب العقدة التى فى لسانه ، ولذلك قال : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ ﴾ [الزخرف] .